بسم الله الرحمن الرحيم

جَبْرُ الْخَاطِرِ وَأَثَرُهُ فِي تَوْثِيقِ الرَّوَابِطِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ٢٨ رَجَبٍ ١٤٤٥هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ جَبْرَ الْخَوَاطِرِ خُلُقٌ كَرِيمٌ وَمَعْنًى عَظِيمٌ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ مِنْهُ لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ﷺ، وَقَدْ أَوْصَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِعَدَمِ كَسْرِ الْخَوَاطِرِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾. إِنَّ عِبَادَةَ «جَبْرِ الْخَوَاطِرِ» فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ شَمِلَتِ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ، وَالصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالضُّعَفَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، بَلْ وَالْحَيَوَانَ.

فَهَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْبُرُ خَاطِرَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما لَمَّا اسْتُشْهِدَ أَبُوهُ فَانْكَسَرَ قَلْبُهُ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالدُّيُونُ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رحمه الله، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ خِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا. قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عزوجل: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾ الْآيَةَ. هَلْ يُتَصَوَّرُ حَالُ جَابِرٍ رضي الله عنه بَعْدَ هَذِهِ الْمُوَاسَاةِ؟.

وَهَا هِيَ عَائِشَةُ رضي الله عنها كُلَّمَا حَدَّثَتْ بِحَدِيثِ الْإِفْكِ، تَذْكُرُ مَوْقِفَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَاسَتْهَا، فَبَكَتْ لِبُكَائِهَا. قَالَتْ رضي الله عنها: فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّىٰ أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي» الْحَدِيثَ. فَهَلْ رَأَيْتُمْ كَيْفَ أَنَّ الْمُشَارَكَةَ فِي الْبُكَاءِ أَصْبَحَتْ مِثَالًا مِنْ أَمْثِلَةِ الْوَفَاءِ، فَهَا هِيَ دَمَعَاتٌ كَانَ لَهَا أَعْظَمُ الْأَثَرِ وَالْمُوَاسَاةِ.

وَهَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْبُرُ خَاطِرَ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا مَاتَ صَبِيٌّ لَهَا. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَىٰ بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا، أَوِ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَعَادَ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، قَالَ: **فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ،** فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».

وَهَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُوَاسِي أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَيَجْبُرُ خَاطِرَهَا لَمَّا قُتِلَ وَلَدُهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَصْلُوبًا. أَخْرَجَ الْفَاكِهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ»، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، قَالَتْ: «لَمَّا صُلِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الْمَسْجِدَ وَذَلِكَ حِينَ قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ مَصْلُوبٌ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، **فَمَالَ إِلَيْهَا فَعَزَّاهَا، وَقَالَ:** «**إِنَّ هَذِهِ الْجُثَّةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَاتَّقِي اللهَ وَعَلَيْكِ بِالصَّبْرِ**». فَقَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَصْبِرَ وَقَدْ أُهْدِيَ رَأْسُ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا إِلَىٰ بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

وَهَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْبُرُ خَاطِرَ الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ. أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «التَّعْلِيقَاتِ الْحِسَانِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقَالُ لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ، كَانَ يُهْدِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِينَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ»، قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ

بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ»؟ فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللهِ كَاسِدًا، قَالَ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ»، أَوْ قَالَ ﷺ: «بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ».

وَهَا هُمُ الْأَطْفَالُ، كَانَ لَهُمْ مِنْ جَبْرِ الْخَاطِرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَصِيبٌ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَكَانَ لِي أَخٌ صَغِيرٌ، وَكَانَ لَهُ نَغْرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُ أَبِي عُمَيْرٍ حَزِينًا؟**»، فَقَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**». فَمَا شُعُورُ هَذَا الْغُلَامِ وَهُوَ يَسْتَرْسِلُ فِي حَدِيثِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنِ النُّغَيْرِ وَذِكْرَيَاتِهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَمَا لِهَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْأَثَرِ فِي جَبْرِ خَاطِرِ الطِّفْلِ، وَتَسْلِيَةِ قَلْبِهِ الْكَسِيرِ.

وَقَدْ تَجَاوَزَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ ﷺ فِي جَبْرِ الْخَوَاطِرِ مِنْ عَالَمِ الْإِنْسَانِ إِلَىٰ عَالَمِ الْبَهَائِمِ الْعَجْمَاوَاتِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَغْلَتَهُ، وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَبَرَّزَ كَانَ أَحَبَّ مَا تَبَرَّزَ فِيهِ هَدَفٌ يَسْتَتِرُ بِهِ، أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ نَاضِحٌ لَهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ [يَعْنِي: مُؤَخَّرَ رَأْسِهِ] وَسَرَاتَهُ، فَسَكَنَ فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟» فَجَاءَ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ، وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ». [أَيْ: تُكْرِهُهُ وَتُتْعِبُهُ].

عِبَادَ اللهِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ جَبْرَ الْخَوَاطِرِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَىٰ حَالِ الْمَصَائِبِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا حَتَّىٰ فِي حَالِ النِّعَمِ. فَهَا هُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا تَابَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ صَاحِبَيْهِ الَّذَيْنِ تَخَلَّفَا عَنْ غَزْوَةِ تبوكَ، قَالَ كَعْبٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَتَّىٰ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُهَرْوِلُ، حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، **وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.**

إِنَّ جَبْرَ خَوَاطِرِ النَّاسِ طَرِيقٌ إِلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ. أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «مَعَاجِمِهِ الثَّلَاثَةِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ».

جَبْرُ الْخَوَاطِرِ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْعَىٰ الْإِنْسَانُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَبْرِ خَوَاطِرِهِمْ، وَتَفْرِيجِ كُرُوبِهِمْ، وَتَقْدِيمِ يَدِ الْعَوْنِ لَهُمْ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ؛ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ؛ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».